اليوم الدراسي: "الديداكتيك بين النظرية والممارسة التربوية" يوم 6 ديسمبر 2016،
بجامعة أكلي محند أولحاج بالبويرة، قسم علم الاجتماع، الجزائر
مداخلة موسومة ب "البعد النفسي والاجتماعي لاكتساب وتعلم اللغة عند الطفل"
إعداد الدكتور: لخذاري سعد، أستاذ محاضر الصنف أ، بقسم اللغة والأدب العربي، جامعة
البويرة.

ملخص:

يتحكم في الاكتساب والتعلم اللغوي عند الطفل عوامل نفسية واجتماعية هامة أردنا أن نستقصي بعضها بالبحث والمناقشة، فالظاهرة اللغوية عند الطفل لا تتحكم فيها عوامل لسانية فقط، بل هناك أيضا عوامل نفسية واجتماعية أثبتها الباحثون ينبغي أخذها بعين الاعتبار حتى نضمن مستقبلا لغويا سليما للمتعلمين.
الكلمات المفتاحية: البعد النفسي، البعد الاجتماعي، الاكتساب، التعلم، اللغة، الطفل.

Summary:

"psycho-social dimension of the acquisition and language learning in children"

the acquisition of language and learning in children is controlled by important social and psychological factors, we wanted to do some research and discussion on it. The linguistic phenomenon in the child does not control only by linguistic factors, but there are also psychological and social factors corroborated by researchers should be taken into account; in order to ensure the correct future linguistically to learners.

Key words: psychological dimension, social dimension, acquisition, learning, language, child.

إن الاهتمام بالواقع اللغوي للطفل ليعد سمة من سمات الأمم المتحضرة التي تبتغي مستقبلا لغويا راقيا للأمة، فأطفال اليوم هم جيل الغد، ولقد أجريت دراسات عدة غربية وعربية حول الطفل ولغته، وأخذت منحنى متقدما في السنوات الأخيرة، ونظرا لقيمة هذا الموضوع وأهميته؛ أردنا أن نستكتب هذه الورقة العلمية، لنطرح مجموعة تساؤلات من أهمها: ما هي العوامل النفسية والاجتماعية التي تساعد وتتحكم في الاكتساب والتعلم اللغوي عند الطفل؟ وما هي عوامل الرقي اللغوي للطفل؟ وكيف نوجه السلوك اللغوي للمتعلمين؟

**أولاً: تحديد المفاهيم
الاكتساب والتعلم:**

الاكتساب اللغوي هو: "...العملية غير الشعورية، وغير المقصودة، التي يتم بها تعلم اللغة الأم، ذلك أن الفرد يكتسب لغته الأم في مواقف طبيعية، وهو غير واع بذلك. ودون أن يكون هناك تعليم مخطط له، وهذا ما يحدث للأطفال وهم يكتسبون لغتهم الأولى، فهم لا يتلقون دروساً منظمة في قواعد اللغة، وطرائق استعمالها، وإنما يعتمدون على أنفسهم في عملية التعلم، مستعينين بتلك القدرة التي زودهم بها الله تعالى، والتي تمكنهم من اكتساب اللغة في فترة قصيرة وبمستوى رفيع" (1)؛ فالإكتساب هو الذي يسبق التعلم أو يتماشى معه، فهو يأتي بعفوية وضمن مواقف طبيعية يتميز بها الإنسان، وسط البيئة اللغوية التي يتعايش معها الأطفال، حيث يتلقى تعليماً لغوياً متقدماً ومتميزاً طبيعياً ويتم تفعيل القواعد اللغوية المودعة بالذهن عن طريق الكلام الذي يُتلقى بالسمع بمختلف عناصره اللغوية وغير اللغوية.

أما التعلم فهو: "...عملية تغير شبه دائم في سلوك الفرد، لا يلاحظ بشكل مباشر ولكن يستدل عليه من السلوك، ويتكون نتيجة الممارسة، كما يظهر في تغير الأداء لدى الكائن الحي" (2)، كما نجد عدة تعاريف مختصرة للتعلم في كتاب "نظريات التعلم" نأتي بها كالآتي: "وإذا أردنا أن نعرف التعلم تعريفاً بسيطاً يمكننا القول أنه تعديل للسلوك من خلال الخبرة. وثورندايك يعرف التعلم بقوله: أنه سلسلة من التغيرات في سلوك الإنسان... ولقد وصف أندرسون وجيتس التعلم بأنه عملية تكيف الاستجابات لتناسب المواقف المختلفة... ووصف ثورب التعلم بأنه مجموعة تغيرات تكيفية تحدث لسلوك المرء وهي في محصلتها تعبير عن خبراته في التلاؤم مع البيئة. وباختصار فإن التعلم عملية تغيير سلوك الإنسان بفعل الخبرة" (3)؛ فالتعلم يختلف عن الإكتساب في أننا نوجهه ونستهدف خبرات معينة لغوية كانت أم معرفية، وكلا من التعلم والإكتساب يحصل عنه دراية ومعرفة وتحصيل لغوي، والتعلم مدروس ومقنن يسير وفق مبادئ وطرائق وخطوات، وهو في تطور مستمر ولافت في الأونة الأخيرة، قصد تغيير في السلوكيات والأداءات المختلفة.

(ب) اللغة: يعرف "فرديناند دي سوسير" (Ferdinand de Saussure) اللغة بقوله: "اللغة نظام من الإشارات (System of signs) التي تعبر عن الأفكار، ويمكن تشبيه هذا النظام بنظام الكتابة أو الألفباء المستخدمة عند فاقدى السمع والنطق أو الطقوس الرمزية أو الصيغ المهدّبة أو العلامات العسكرية أو غيرها من الأنظمة، ولكنه أهمها جميعاً" (4)، ولما نعود إلى "القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان" فإن اللغة: "...بوصفها شريعة (Code). وإننا لنفهم من قيام تناسب بين (الصور السمعية) و(المتصورات)، اللغة سلبية محضة. وإن امتلاكها هو إشراك لملاكات الاستقبال الذهني وحدها وإعمال للذاكرة قبل كل شيء... إن اللغة ظاهرة اجتماعية" (5)؛ نفهم مما سبق أن اللغة تقابل النظام المحكم والمرتب بكيفية مخصوصة تحمل الأفكار وتترجمها للمتلقى، فكما أن الأنظمة متعددة ولها كيفية مخصوصة للتعبير، فكذلك اللغة تمشي وتشتغل، كما تشتغل الأنظمة المبتكرة المنظمة والمقننة، ومقر اللغة الذهن والعقل الباطني، حيث توجد القواعد المودعة في الذهن التي تشتغل انطلاقاً من الجانب الأكوستيكي (المسموع)، فاللغة كبرنامج الحاسوب الذي يشتغل انطلاقاً من تزويده

بالمعلومات فقط، واللغة مكانها ونشاطها يكون ضمن النطاق الاجتماعي عن طريق التفاعل والتزود عن طريق الاحتكاك والتبادل.

ثانياً) العوامل النفسية، الاجتماعية والتعلم اللغوي:

أ) العوامل النفسية: سنحاول ملامسة بعض النقاط الهامة فيما يتعلق بالجانب النفسي ودوره في الاكتساب والتعلم اللغوي.

فأول ما يتصل بالجانب النفسي في التعلم اللغوي هو الأسرة وما يتصل بها، فقد أورد "معمر نواف الهوارنة" مجموعة من العوامل النفسية التي تساعد على التعلم الأمثل للغة، نأخذ أهمها: (6)

1- نمط الحياة الأسرية والتفاعل بين الطفل والوالدين: توضح الدراسات والبحوث العديدة أنه كلما كان التفاعل مرتفعاً بين الوالدين والطفل، أثر ذلك على تطوره اللغوي، كما أن معاملة الوالدين الإيجابية لها دور كبير في زيادة كفاية الطفل في الحصيلة اللغوية ومفردات اللغة. كما أن عدم تفاعل واحتكاك الأم لغوياً مع أطفالها يبطئ عملية التطور اللغوي، ويصبحون أقل نضجاً في تعبيراتهم اللغوية، مقارنة مع الأطفال الأكثر تفاعلاً.

2- التمازج مع الطفل خلال اللعب: إن تسمية الأشياء للطفل غير كافية، إذ يجب على الوالدين أن يشاركا ابنهما في اللعب، فالكلام الذي يستعمله الوالدين خلال اللعب هو كلام سهل مكون من جمل قصيرة واضحة وقريبة جداً من قدرة الاستيعاب عند الطفل، إضافة إلى هذا فالكلام خلال اللعب يسمح للطفل أن يدرك الربط بين الشيء والظرف المحيط به، مما يساعد لاحقاً على استخدام هذه الظروف نفسها كمرجعية لفهم معنى الكلمات ولإدخال كلمات جديدة تتلاءم مع الظرف نفسه.

فالمدرسة اللغوية الأولى للطفل هما والداه من خلال الاحتكاك والتفاعل معهما، سواء من خلال المحادثة أو الحكايات أو اللعب، فالطفل يستقبل ما يرد عليه من ألفاظ وسياقات استعمالها من طرف أمه وأبيه وأي تفریط أو إنقاص في المعاملة مع الطفل تعني نقص لغوي ونفسي خطير ينبغي تجنبه والتعامل معه بحذر.

لقد أثبتت الدراسات النفسية دور المحيط الذي يدور بالطفل في التعلم اللغوي خاصة العائلة (الأب والأم)، حيث: "...أن الطفل الصغير يتعلم لغته الأولى عن طريق سماعه لحديث الآخرين وخاصة الأم، وعن طريق ملاحظته للأشياء والأحداث، وكذلك وهو يلعب بتلقائية، ويتعامل مع الأشياء، وأيضا عن طريق محاولته التعليق بالكلمة على الأحداث والأشياء التي يراها أو تقع له، وهو في ذلك كله يحاول تقليد الأطفال الأكبر سناً أو إخوته الكبار، الذين يترجمون تجاربهم الشخصية إلى كلمات" (7)؛ ولذلك ينبغي أن نتحكم في لغتنا وسلوكياتنا بعناية أمام الأطفال لأنهم يسمعون ويتلقون منا، فجودة اللغة ومحتواها للكبار تعني جودة اللغة للطفل مستقبلاً، وأي إساءة لاستخدام اللغة من طرفنا خاصة الوالدين- تعني الإساءة للمستقبل اللغوي للطفل.

بعد الأسرة يأتي دور المعلم والمدرسة في التعلم اللغوي، فللمعلم أثر نفسي كبير على المتعلم، بحيث لكي يكون التعلم والاكساب اللغوي ناجعا ينبغي أن يتصف المعلم بمجموعة من المواصفات الشخصية؛" فالمعلم قدوة للتلاميذ تنعكس خصائصه شعوريا أو لا شعوريا على تلاميذه. وقد حدّد عبد التواب عبد الله عبد التواب أهم السمات الشخصية والاجتماعية التي يمكن لمعلم اللغة العربية أن يحقق في إطارها النجاح المهني، وهي:

1- الإخلاص والصدق، وهما مصدر كل نجاح، ومعيار الإخلاص والصدق في تحقيق الأهداف المنشودة.

2- الثقة بالنفس، وهي إدراك المعلم لذاته وإيمانه بمهنة التدريس وحماسه وحبه للعمل فيها.

3- قوة الشخصية، أي أنّه يتميز بالذكاء والحرية في اتخاذ القرارات مع مراعاة المصلحة والحزم في المعاملة.

4- الإلمام بالمادة التعليمية والدراسات النظرية التي تحقق له مستوى أعلى.

5- اجتماعي بالطبع، أي يتميز بالسلوك الاجتماعي مع تلاميذه.

6- الاتزان الانفعالي، أي يتميز بالثبات والتكيف العاطفي في أقواله وأفعاله.

7- الفاعلية الشخصية، أي الإيجابية والقدرة على التفاعل بين العناصر الأخرى للعملية التعليمية.

8- النمو والتجديد، أي يمتلك روح المبادرة والنزعة إلى التجديد والتجريب.

9- الموضوعية والتواضع، أي عدم التمييز والتعصب للدارسين والموضوعية في معالجة الدروس والتواضع دون إهدار الكرامة" (8)؛ فالمعلم دوره بارز ومهم في عملية التعلم اللغوي للطفل، لأن هذا الأخير يصغي لكل سلوكيات المعلم الشخصية واللغوية، فالتعليم ينجح بصدق المعلم وأمانته، ومدى حزمه وجديته في الوظيفة التي يشغلها، فلا يكون المعلم كثير الغضب ويكون في سعته التفاعل بإيجابية مع الطفل ولديه التجديد في الطرح والمعالجة، ويتسم بالأخلاق والمواصفات الحميدة، كلها عناصر حاسمة في الاكساب والتعلم اللغوي للطفل.

إن العمل المنوط بالمعلم والمدرسة هو تعليم الطفل الكتابة والقراءة، حيث أن القراءة هي ظاهرة لغوية نفسية، وهي: "عملية اتصالية معقدة يتفاعل فيها عقل القارئ ومعلوماته اللغوية وخبراته مع النص في سياق معين. وهذا ما يراه عدد من الباحثين في سيكولوجية القراءة قبل ثلاثة عقود. فقد وصفها كنهث جودمان Kenneth Goodman بأنها: عملية انتقائية، يشتغل فيها القارئ الحد الأدنى من الإشارات اللغوية التي يختارها من النص اعتمادا على حدسه الأولي للمعنى واستنادا إلى معلوماته وخبراته. وهذا الحدس قد يؤكده النص أو يرفضه أو يصححه" (9)؛ فلما يبدأ الطفل بالاحتكاك بالنصوص اللغوية فهذا يعني بداية مرحلة جديدة من التعلم اللغوي، فالنص المكتوب ما هو إلا تجسيد لخطابات شفوية حية ينقصه مجموعة من العناصر التي ترتبط بالخطاب الحي، والتحكم في النص يأتي عبر مراحل وخبرات

تتطور شيئاً فشيئاً، ولما يتفاعل الطفل مع النص فإنّ هناك ظواهر نفسية هامة تحدث أثناء تعلمه، خاصة الحدس المتعلق بالتوقعات التي ينتظرها بفعل تداعي المعلومات وترباطها.

لقد...نشر (كنث جودمان) دراسته الأولى عام 1965 التي عنوانها: A linguistique Study of cues and miscues in reading؛ وفسّر فيها أخطاء الأطفال في القراءة تفسيراً لغوياً نفسياً حين عدّها دليلاً على ما يجري في داخل ذهن الطفل والمرحلة التي يمر بها في اكتساب لغته ومعالجته لفهم المقروء معالجة لغوية بدلاً من النظر إليها بوصفها أخطاء يجب تصحيحها والتخلص منها" (10)؛ فينبغي على الوالدين والمعلم أن يتنبهوا إلى قضية القراءة في مراحلها الأولى من أن الأخطاء القرائية ما هي إلاّ تطور نفسي لتحسين الأداء، ومرحلة من مراحل النضوج الذهني، فلا تعلم من غير أخطاء، ولا لغة من غير تدرج مرحلي.

ومن العناصر الهامة في التعلم اللغوي الكتاب المدرسي بعناصره المختلفة، خاصة الصورة ذات الأبعاد النفسية الهامة، حيث: " أن نسبة إسهام حاسة البصر في التعليم كما رآها علماء النفس (75 بالمئة) وهي نسبة الإدراك البصري الذي يتم بعد أن يتلقى الفرد المعلومات البصرية عن طريق العين، وقد اعتبر البعض أن الإدراك البصري هو معرفة العالم الخارجي عن طريق العين، وأن عملية الإدراك في ذاتها هي محصلة عمليتين هما: (رؤية+فهم) أو هما (رؤية قبل واعية ثم رؤية واعية) فمجرد سقوط الأشكال المرئية على شبكية العين، ليس إدراكاً وإنما هو رؤية قبل واعية، وحينما نركز على أشياء معينة ونفهمها دلّ ذلك على الإدراك..." (11)؛ وهذا ما له العلاقة بالتعلم اللغوي لدى الطفل، حيث أن نسبة الجانب البصري في ذلك التعلم تأخذ المساحة الكبيرة، فالطفل يتلقى كل ما يسقط على نظره، فلما ننطق بالأشياء ينبغي ربط ذلك النطق بالصور والأشكال المناسبة حتى يحدث الربط والتفاعل وسهولة وسرعة التلقي والفهم.

تكتنف الصورة أهمية كبيرة في الكتاب المدرسي وتعلم اللغة من حيث الأثر النفسي، ويمكن أن نجمل ذلك في مجموعة نقاط أهمها: (12)

- التغلب على مشكلة البعد المكاني أو الزماني.
 - إعطاء التلاميذ تصور لحجم الأشياء.
 - تجسيد المعاني والخبرات اللفظية إلى مادية يمكن أن يدركها المتعلم بسهولة.
 - تؤدي إلى فهم موضوع التعلم دون الحاجة إلى لغة لفظية، ولهذا فإنها تصلح لتعليم الفئات التي لا تحسن القراءة مثل الأميين والأطفال قبل سن الدراسة.
 - تؤدي إلى التشويق وشد انتباه المتعلم.
 - تختصر الوقت اللازم لتوضيح بعض المفاهيم التي يحتاجها المدرس لشرحها لفظياً.
- فالصورة في الكتاب المدرسي معينة على التعلم اللغوي، فهي سابقة للفظ ومكملة له ينبغي تخيير الصور بعناية وبصدق لكي ترتبط الأشياء في العالم الخارجي بالذهن، ويتم أخذ تصور

يمكن أن يترجم فيما بعد إلى لغة مكتسبة صالحة للاستعمال الحي، خاصة مع المتعلمين المبتدئين.

ومن الجوانب النفسية التي يجب توفرها؛ البيئة اللغوية التي تحيط بالدارسين والمدرسين، نختصرها في عدة نقاط: (13)

- من أهم العوامل المؤثرة التي تؤدي إلى نجاح تعليم اللغة العربية بصفة خاصة واللغة الأجنبية بصفة عامة توفير البيئة اللغوية الجيدة، وهي عبارة عن جميع المؤثرات والإمكانات المادية والمعنوية التي تحيط بالمجتمع الدراسي التي من شأنها أن تؤثر على عملية التعليم والتعلم وترغب الدارسين والمدرسين معا في ترقية المستوى اللغوي العربي وتشجعهم على تطبيقها في واقع حياتهم اليومية.

- البيئة الكلامية التي تعتبر أقوى البيئات في اكتساب المتعلمين اللغة، حيث يستطيعون أن يستخدموا اللغة كأداة الاتصال بينهم في حياتهم اليومية على وجه التدرج، بحيث يستخدم المدرس اللغة العربية في اتصالاته مع الدارسين مع التعويد على استخدام التعابير العربية في المعاملة اليومية، وكذلك يجب توفير بيئة سمعية التي يمكن تكوينها من خلال إيصال المعلومات والإعلانات الشفوية باللغة العربية، ومن ذلك تسميع المتعلمين الأناشيد العربية.

- ضرورة وجود هيئة تقوم بتنظيم النشاطات اللغوية وإعداد المشرفين الموجهين لهذه الأنشطة وتوفير الوسائل والإمكانات اللازمة.

فلكي ينجح تعليم الطفل اللغة بصورة أفضل ينبغي أن يوضع في بيئة لغوية خصبة، ويقوم المدرس بتحفيز التلاميذ على التواصل الشفوي في كل تعاملاتهم باللغة الفصيحة مع جعل قراءة مختلف الوثائق والإعلانات بشكل شفوي سليم، وكذلك تحفيظ الأناشيد ذات اللغة السليمة والمميزة حتى يتلقى الطفل لغة سليمة خالية من العيوب، وتكون كل هذه الأنشطة تحت إشراف مشرفين تربويين، ووسائل كاملة.

ب) العوامل الاجتماعية:

يعزي "ابن خلدون" (732هـ-808هـ) التعلم اللغوي إلى العامل الاجتماعي، فيقول: "فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم، يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم في مخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها، فيلقنها أولاً، ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم، واستعماله يتكرر، إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة، ويكون كأحدهم. هكذا تصيرت الألسن واللغات من جيل إلى جيل وتعلمها العجم والأطفال وهذا هو معنى ما تقوله العامة من أن اللغة للعرب بالطبع، أي: بالملكة الأولى التي أخذت عنهم ولم يأخذوها عن غيرهم" (14)؛ فابن خلدون يرى أن اللغة وتعلمها يتم وفق العامل الاجتماعي عن طريق السماع والتكرار، فهو يتحفظنا برأي هام في التعليمية، كما أنه يقول بأن اللغة تنتقل ليس فقط تركيباً ومفردات، وإنما كذلك تداولياً وفق المقاصد التواصلية المختلفة، فالطفل يتلقى اللغة على أصالتها واستعمالها الحقيقي بطلاقة كما يتحدثها الأولون.

إن الدور الاجتماعي في تعلم اللغة عند الطفل له من الأهمية الكبيرة، حيث: "يختص أول هذه التعميمات بالنماذج اللغوية التي يحتذيها الأطفال، وغالبا ما يتبع الكثير من الأطفال نماذجهم اللغوية بالترتيب التالي: يتبع الأطفال أولا نموذج الأبوين ثم الأقران وأخيرا البالغين، ويرى ويليام لا بوف أن الطفل غالبا ما يحتذي نموذج أبويه حتى يصل إلى الثالثة أو الرابعة من عمره، وبعد ذلك يستبدل بنموذج الأبوين نموذج الأقران، حتى يبلغ الثالثة عشرة من عمره عندما يبدأ في احتذاء البالغين الذين يتجه إلى عالمهم...ومن الواضح أن معظم الأطفال إن عاجلا أو آجلا يتخذون من أقرانهم، بدلا من الأبوين نماذج لغوية تحتذى...فعلى سبيل المثال، نجد الكثير من أطفال الجيل الأول من المهاجرين إلى المدن البريطانية يتحدثون بلكنة لا تختلف عن لكنة أصدقائهم من المقيمين، ولا يمكننا القول أنهم قد اكتسبوا هذه اللكنة باحتذاء نماذج أهلهم" (15)؛ ولهذا ينبغي أن يحترس الوالدان مع الأبناء، خاصة من حيث اللغة المستعملة في البيت لأن الأولاد يتلقونها ويتخذونها نموذجا لهم، كما أن الأقران الذين يتصلون بالأولاد ينبغي أن يراقبوا من طرف الأهل بطريقة غير مباشرة كي لا يفسدوا على الأطفال حياتهم، أما الفئة الثالثة التي يتخذها الأطفال نموذجا لغويا فهم الكبار والمجتمع، أما التحكم فيهم فإنها مسألة تاريخية وقضية أمة ومفكرين، ويتم ذلك بطرح سؤال والإجابة عليه مفاده: كيف نصلح لغة وسلوكيات مجتمع سيصير نموذجا للأطفال وقدوة لهم؟ كل الأمور السابقة هي عوامل اجتماعية هامة في تعلم اللغة واكتسابها.

يتحكم في كلام الطفل وتعلمه للغة عوامل اجتماعية مختلفة، حيث يطرح "هدسون" سؤالاً ويحجب عليه، فيقول: "ماذا، إذن، عن كلام الطفل؟ وكيف ينمو ذلك بالعلاقة مع بيئته الاجتماعية؟...من الواضح أن الأطفال يبدأون في سن مبكرة للغاية بتكييف كلامهم حسب سياقه الاجتماعي، ففي الوقت الذي يبدأون فيه الكلام، يتحدثون بأساليب مختلفة إلى أناس مختلفين، وليس ذلك بالشيء الغريب لو عرفنا أن الكلام ليس إلا جانبا واحدا من السلوك الاجتماعي، ولو تذكرنا أنهم يسلكون سلوكا مختلفا حيال مختلف الأفراد فور ولادتهم مباشرة، وفضلا عن ذلك، فإنهم يستخدمون في سن مبكرة للغاية، أي في عامهم الأول قبل أن يتعلموا صيغ البالغين، أصواتا مختلفة لأغراض مختلفة مثل السؤال عن شيء ما أو قول ما معناه: أنظروا إلي، إنني أتكلم" (16)؛ فالطفل بالطبيعة يحاول التأقلم مع الوسط الذي يعيش فيه عن طريق مجارات السلوكيات التي تعترضه، فيحاول أن يثبت وجوده انطلاقا مما يعرض عليه من مواقف كلامية مختلفة، فهو يعدل سلوكه اللغوي الاجتماعي حتى يتساوى مع السلوكيات اللغوية للبالغين الناضجين.

إن اللغة ظاهرة اجتماعية نابعة من صلب التفاعل الاجتماعي، فهذا يعني أن لا نترك الطفل في عزلة اجتماعية، "بل بالأحرى بدء حوارات فورية معه، تلك الحوارات التي يجب أن تتميز بدفء العاطفة، وأن تكون مشجعة له على الكلام، ونظرا لعدم نضج الفهم لدى الطفل، فإن المبادرة والتحكم في سير الحوار يجب أن تكون من جانب الكبار (الوالدين أو الجد أو المعلمة). وسيكون الحوار في مراحله الأولى غير مرتب بطبيعة الحال، إلا أنه

سيشجع الطفل على التحادث وعلى السؤال، وعلى الدخول في علاقة مع الآخرين" (17)؛ فالتعلم اللغوي بالحوار هو من أنجع وسائل التعلم خاصة لما تكون الرابطة الاجتماعية وثيقة، لأن الأطفال لا يتجاوبون بطلاقة مثلما يتجاوبون مع أقرب الناس إليهم خاصة الوالدين والجد والإخوة والمعلمة، فالحوار ينزع العقد الاجتماعية للطفل ويفتح ذهنه على الآخرين ويصير يأخذ الكثير من المواقف والتجارب اللغوية المختلفة.

يعزي "محمد زكي مشكور" التعلم اللغوي إلى مجموعة من العوامل الاجتماعية الخارجية نذكرها: (18)

1- البيئة الاجتماعية: تشير أبحاث **جيزل** التي أجريت على أطفال الرياض بأن الأطفال الذين ينتسبون إلى البيئات الاجتماعية الممتازة يتكلمون تلقائياً ويعبرون بوضوح عن آرائهم، وأن أطفال البيئات الفقيرة يصيحون ويضحكون في ألعابهم الحرة ولا يميلون كثيراً للحوار.

2- البيئة اللغوية: يعتمد الطفل على التقليد في تعلمه اللغوي فإذا اتصف بعض قربه بعيوب لغوية خاصة اتصف هو كذلك بها.

3- السلوك المضاد: يبالغ بعض الآباء في تدريب أطفالهم على الكلام في سن مبكرة وذلك قبل وصولهم إلى مراحل النمو المناسبة لتعلم الخبرة الجديدة.

4- الازدواج اللغوي: الأطفال الذين يراد بهم تعلم لغتين مختلفتين في سن مبكرة يتأخرون في تقدمهم اللغوي، لأن لكل لغة صفاتها الخاصة التي تميزها عن أية لغة أخرى.

ولذلك؛ فإن هناك عوامل خارجية يصعب التحكم فيها تساهم في التكوين اللغوي للطفل، وهي تحتاج لجهود كبير حتى يتم التحكم فيها فعلياً، كأن نجعل المجتمع متكافئاً اجتماعياً، وكأن نسيّد لغة واحدة في قطر جغرافي معين، وأن نترك الطفل يعيش مراحل العمرية ولا نتدخل عكس ما يميله واقعه العمري اللغوي.

ختاماً، نرى أن اللغة عند الطفل لتعد من العوالم المعقدة والمتشعبة، لكون العديد من الحقول المعرفية تهتم بهذا الموضوع، من اللسانيات، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، والفلسفة... وقد رأينا من دراستنا هذه أن اللغة وتعلمها تتحكم فيها عوامل عدة، لغوية، نفسية، واجتماعية، وإن التقرب أكثر من التوصيف للواقع اللغوي للطفل لتطرح عديداً من الإشكالات، خاصة في البيئة الجزائرية التي تعرف تعدداً لهجياً ولغوياً ملفتاً، فالحصانة اللغوية في محيطنا تحتاج إلى مزيد من الإمكانيات والدراسات، وكذا الهمم، حتى نؤمن للأطفال مستقبلاً لغوياً مستقراً، وحتى لا نقع في تصادمات وتجاذبات تواصلية مختلفة، ونضمن الاستقرار الاجتماعي في المستقبل.

~ **الهوامش:**

- 1- محمد زكي مشكور، "اكتساب اللغة"، Arabia, vol.7.1, Janvier-Juni 2015، ص 160.
- 2- أنور محمد الشرفاوي، التعلم نظريات وتطبيقات، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 2012، ص 11، 12.
- 3- مصطفى ناصف، نظريات التعلم، مراجعة: عطية محمود هنا، عالم المعرفة، الكويت، 1983، ص 15، 16.
- 4- فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، تر: يوثيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد، 1985، ص 34.

- 5- أوزوالديكرو، جان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، دت، دط، ص 264، 265.
- 6- معمر نواف الهوارنة، "دراسة بعض المتغيرات ذات الصلة بالنمو اللغوي لدى أطفال الروضة"، مجلة جامعة دمشق، المجلد: 28، العدد الأول، سورية، 2012، ص 236، 237.
- 7- سرجيو سبيني، التربية اللغوية للطفل، تر: فوزي عيسى، عبد الفتاح حسن، دار الفكر العربي، القاهرة، 2001، ص 84.
- 8- ديهيتانماسكو، "اللغة العربية، تعليمها وتعلمها في إندونيسيا الحديثة"، مجلة الثقافة (JurnalTsaqafah)، المجلد: 08، العدد: 01، إندونيسيا، أبريل 2012، ص 226، 227.
- 9- عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي، علم اللغة النفسي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، المملكة العربية السعودية، 2006، ص 338.
- 10- المرجع نفسه، ص 340.
- 11- عفاف عبد الرحمن إبراهيم الشنطي، التوافق بين ثقافتنا الصورة والكلمة كميّار للجودة، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر بغزة، 2011، ص 51.
- 12- المرجع نفسه، ص 55.
- 13- ديهيتانماسكو، "اللغة العربية، تعليمها وتعلمها في إندونيسيا الحديثة"، ص 227، 228.
- 14- ابن خلدون، المقدمة، ج: 02، تح وتغ: عبد الله محمد الدرويش، دار البلخي، ط1، دمشق، 2004، ص 378.
- 15- د. هديسون، علم اللغة الاجتماعي، تر: محمود عياد، عالم الكتب، ط2، القاهرة، 1990، ص 31، 32.
- 16- المرجع نفسه، ص 34، 35.
- 17- سرجيو سبيني، التربية اللغوية للطفل، ص 114.
- 18- محمد زكي مشكور، "اكتساب اللغة"، ص 165، 166.

~ قائمة المصادر والمراجع:

- 1- أنور محمد الشرقاوي، التعلم نظريات وتطبيقات، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 2012.
- 2- أوزوالديكرو، جان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد في علوم اللسان، تر: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، دت، دط.
- 3- ابن خلدون، المقدمة، ج 02، تح وتغ: عبد الله محمد الدرويش، دار البلخي، ط1، دمشق، 2004.
- 4- د. هديسون، علم اللغة الاجتماعي، تر: محمود عياد، عالم الكتب، ط2، القاهرة، 1990.
- 5- ديهيتانماسكو، "اللغة العربية، تعليمها وتعلمها في إندونيسيا الحديثة"، مجلة الثقافة (JurnalTsaqafah)، المجلد: 08، العدد: 01، إندونيسيا، أبريل 2012.
- 6- سرجيو سبيني، التربية اللغوية للطفل، تر: فوزي عيسى، عبد الفتاح حسن، دار الفكر العربي، القاهرة، 2001.
- 7- عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي، علم اللغة النفسي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي، ط1، المملكة العربية السعودية، 2006.
- 8- عفاف عبد الرحمن إبراهيم الشنطي، التوافق بين ثقافتنا الصورة والكلمة كميّار للجودة، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر بغزة، 2001.
- 9- فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، تر: يوثيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد، 1985.
- 10- محمد زكي مشكور، "اكتساب اللغة"، Revue Arabia, Vol.7.1 Janvier-Juni 2015.
- 11- مصطفى ناصف، نظريات التعلم، مراجعة: عطية محمود هنا، عالم المعرفة، الكويت، 1983.
- 12- معمر نواف الهوارنة، "دراسة بعض المتغيرات ذات الصلة بالنمو اللغوي لدى أطفال الروضة"، مجلة جامعة دمشق، المجلد: 28، العدد الأول، سورية 2012.